

## نحات خلد الزعيم بورقيبة ثم ضاع في الزحام

الهاشمي مرزوق يعيد إلى تونس ذاكرتها الجمالية

في صالة الكمان الأزرق، بضاحية سيدي بوسعيد، على مقربة من العاصمة التونسية، تعرض أعمال فنان، طغت شهرة أعماله على نجوميته، ومن بينها عمل وضع في مدخل الشارع الرئيسي في العاصمة التونسية. الجميع في تونس يعرف النصب التذكاري للزعيم التونسي الحبيب بورقيبة، الذي تحولت ذكرى عودته من المنفى إلى أرض الوطن في الأول من يونيو 1955 إلى مناسبة يحتفل فيها التونسيون كل عام، بينما قلة هي من تتذكر النحات التونسي الهاشمي مرزوق.

علي قاسم  
كاتب سوري  
مقيم في تونس



الرئيس على صهوة حصان، صورة أرادها الحبيب بورقيبة أن تبقى راسخة في الأذهان، لتصبح رمزاً يتحول إلى أيقونة تشير إلى نهاية عهد الاستعمار الفرنسي، وبداية عهد الاستقلال.

رغم الانقسام والجدل حول إرث بورقيبة السياسي، يبقى الزعيم الراحل من أكثر الشخصيات السياسية التي يكن لها التونسيون التقدير والحب.

وكما يتذكر الناس في الصعاب رموزهم، يتذكر العرب من فترة لأخرى الحبيب الذي كانت أطروحته السياسية والاجتماعية مسار جدال واختلاف.

الغبين الذي لحق بالنحات الهاشمي مرزوق، لصق أيضا الحبيب بورقيبة، عندما صدر قرار برفع النصب من مكانه، بعد أن اطلع به عام 1987. ليوضع على مدخل بلدة حلق الوادي، ميناء الصيد البحري المحفور في الذاكرة الشعبية العربية، بعد أن غنى له المطرب فريد الأطرش رائحته "بساط الريح".

صار لزاما على العهد الجديد، بعد التخلص من بورقيبة منفيا في مدينة المنستير، أن يعلن عن مرحلة جديدة لا بد فيها من حجب التمثال أيضا عن عيون التونسيين، لا يكفي ترحيل الرئيس، التمثال يجب أن يرحل هو الآخر.

لا نعرف من هو صاحب الفكرة في تحويل التمثال إلى ميناء حلق الوادي، ليعود التمثال من حيث أتى الزعيم ويمن النقطة التي استقبله منها التونسيين.

ولم تكن إعادة النصب إلى مكانه بعد 29 عاما، قرارا فنيا، بل هو قرار سياسي لزعيم آخر أخلص لبورقيبة ولإرث البورقيبي، هو الراحل الباجي قائد السبسي، وذلك خلال وجوده في قصر قرطاج رئيسا لتونس.

اختار الباجي اليوم الذي أطلق عليه التونسيون "عودة النصر" في الأول من شهر يونيو 2016، ليعود بورقيبة ويتصدر المشهد التونسي ثانية.

وكما بكى الهاشمي مرزوق يوم اقتلع تمثال الزعيم من مكانه، بكى أيضا، ولكن تافرا، عندما عاد ليحتل نفس المكان.

لم يكن الهاشمي مرزوق ساعيا وراء المال أو الشهرة، إنه الحب ورفقه غير الحب، وقف وراء رغبته بتنفيذ تمثال «المجاهد الأكبر»



وأشرف الباجي قائد السبسي على حفل إزاحة الستار عن الحجر الرخامي الذي يؤرخ لإعادة التمثال إلى مكانه الأصلي، وسط حشد كبير من التونسيين رفعوا الراية الوطنية وصور بورقيبة. وإلى جانب قائد السبسي وقف عدد من أفراد عائلة الزعيم الحبيب، ورئيس مجلس نواب الشعب السابق محمد الناصر، ورئيس الحكومة حينها، الحبيب الصيد.

وشدّد قائد السبسي على رمزية إعادة التمثال إلى مكانه الطبيعي في شارع الحبيب بورقيبة، وأشار إليه بوصفه باني الدولة الحديثة، مؤكداً أن إعادة التمثال إلى مكانه ليست قضية شخصية، بل هي قضية وحدة وطنية، مشيراً إلى أن تونس اليوم في حاجة إلى وحدة صماء من أجل إخراج البلاد من الوضع التي هي عليه.

رغم ذلك لم يُعد هذا الحدث النحات الهاشمي إلى واجهة الحياة الفنية، ما أعاده هو معرض استعادي لأعمال الفنان، في صالة الكمان الأزرق، العودة التي تزامنت مع إصدار كتاب أنيق حول سيرته الفنية باللغة الفرنسية للناقد حسين التليلي.

قصة الهاشمي مع تمثال الزعيم تعود إلى بداية السبعينات، حينها طلب بورقيبة أن يكون له تمثال في حياته، ليعلم عن مسابقة فحلت للفنانين التونسيين، وكان من بينهم الهاشمي مرزوق، الذي حاز نموذج على المركز الأول، إلا أن مهمة تنفيذ العمل لم تسند إليه.

وحسب الهاشمي، هناك من أقتع القصر حينها، بالإعلان عن مسابقة ثانية فتحت لنحاتين أجانب، فزعم مثل بورقيبة، يجب أن يخلد من قبل فنان عالمي. وتمت دعوة أربعة نحاتين من فرنسا وإسبانيا ويوغوسلافيا وإنجلترا لتقديم نماذج للتمثال.

رغم ذلك يقول الهاشمي إنه لم يفقد الأمل، وبدخل من وزير الثقافة آنذاك، الشاذلي القليبي، قبلوا مشاركته إلى جانب النحاتين الأربعة الأجانب. وتم استدعاء لجنة تحكيم من خارج تونس لتقييم الأعمال. وللمرة الثانية يفوز الهاشمي. وعندما علم بورقيبة بالنتيجة، علق قائلا "أخبرني إحساسي أن العمل لن يسند إلا لتونسي، لأنه جاء بشبهني إلى حد كبير".

الهاشمي مرزوق يستعيد مكانته شيئا للناحاتين في تونس



رقص على الرخام

وكلف الهاشمي بتحويل صورة بورقيبة المنتصر إلى تمثال ينصب في الشارع الرئيس الذي حمل اسم بورقيبة، وهناك بقي إلى أن وصل زين العابدين بن علي إلى السلطة، في السابع من نوفمبر عام 1987. لم يكن الهاشمي، وفق قوله، ساعيا وراء المال أو الشهرة، مؤكداً أنه الحب، ولا شيء غير الحب، وقف وراء رغبته بتنفيذ تمثال "المجاهد الأكبر". ويضيف "أردت أن أترك للتاريخ والأجيال القادمة صورة رجل عظيم لم يكن مروره عابرا في تاريخ تونس الحديثة".

ويؤكد الفنان أن شخصية بورقيبة، سواء كانت بالملاحم أو الحركات أو الكلمات، تمتلك كل الإغراءات لإنجازها في عمل فني.

وكانت زيارات الزعيم لمشغل النحات في منطقة "العوينة" بتونس العاصمة تدوم ساعات طويلة تتخللها مناقشات فنية، تتم عن خلفية ثقافية عالية لبورقيبة. اسم الفنان الهاشمي ارتبط أيضا بأيام قرطاج السينمائية، فهو من قام بتصميم الجائزة على مدى أكثر من 20 عاما، ليقرر القائمون على المهرجان التخلي عن خدماته في الأعوام الأخيرة. ويقول الهاشمي إنه لجأ إلى القضاء ليدافع عن حق الملكية، فلم يحصل سوى على اعتذار شفوي من مدير المهرجان. وأشار مرزوق إلى أن الأمر نفسه تكرر مع مهرجان أيام قرطاج الموسيقية وأيام قرطاج المسرحية.

ويأمل الهاشمي في ضاحية سيدي بوسعيد أن يستعيد مكانته، شيئا للناحاتين في تونس، بعد أن كاد النسيان يطويها، ويتضمن المعرض أعمالا للفنان غطت سيرته الفنية على مدى عقود، احتوت على أعمال من الرخام والحجارة والبرونز إضافة إلى الخشب.

## أبصار الفنانين العرب تشخص إلى الثورة اللبنانية

الفنان الذي عاش فترة طويلة في لبنان في رسم لوحات عن تلك الثورة على جدران مدينته إلب في سوريا تضامنا مع الثورة اللبنانية التي وجد فيها، هو وأهل مدينته، الأمل في نجاح الثورة السورية التي قد يعتبرها البعض انطلاقات في حين يرفض هو ذلك، مثله كمثل الآلاف من السوريين في الداخل السوري.

وتذكر أيضا من الفنانين السوري غيلان الصفدي الذي قدم لوحة لافتة تحت اسم "ثورة لبنان" وبرز أسلوبه المميز في التعامل مع اللون الرمادي كناطق باسم الويلات الباطنية والخارجية منها.

ومن بين الفنانين الذين داروا في فلك الثورة اللبنانية ورسموا أعمالا رائعة تمزج ما بين عين الفوتوغرافيا والريشة القائمة الفنان التشكيلي السوري محمد المفتي. ويمكن اعتبار اللوحتين "تشرين في لبنان" و"فقدان الذاكرة" من أنقى ما رسم. تكلمت النقاوة القائمة في لوحاته لسان ضربات ريشته الواثقة جدا والمترجمة في ذات الوقت من فعل العاطفة التي ساقط جميع التفاصيل حتى اكتمال المشهدية.

كل تلك الأعمال المذكورة أنفاً وعلى اختلاف حرفيتها وتعبيراتها الفنية تصب لصالح فن ملتزم يعبر الحدود ما بين مختلف التجارب المعيشية، ومن ثمة الفنية، كي يستقيم كيانها على وقع تحولات الحياة واشتداد الهواجس الإنسانية.

ومن الأعمال الفنية التي يجد فيها اللبناني والعراقي والفلسطيني والسوري ما يشده إلى التعاطف مع الثورة اللبنانية نذكر الجدارية التي رسمها الفنان غيث الروبة في مدينة طرابلس، عاصمة الشمال اللبناني عند مدخل ساحة النور التي شهدت ولم تزل تشهد أقوى المظاهرات.

رسم الفنان الجدارية تخليداً لذكرى استشهاد علاء أبو فخر الملقب بابن الثورة. وما يميز هذه الجدارية أن من رسمها هو فنان فلسطيني/سوري يعيش في محلة أبوسمر في طرابلس، وقال في أكثر من مناسبة للصحافيين "أفضل أطراف الساحات.. واهتمامي بتصوير وجوه ولحظات من الثورة جاءت من إيماني بها ومن أنها تنتمي بأفكارها أيضا إلى الفلسطينيين والسوريين.. وقد بدأت بتوثيق وجوه الثورة على جدرانها منذ الأحد الأول للثورة. أول رسمة كانت لبورتريه طفل صغير يحمل العلم اللبناني".

ويضيف الفنان "انتمى إلى مجموعة صغيرة من عشرة فنانين، من طلاب وخريجي جامعات طرابلس في الفنون الجميلة وفن العمارة، قمنا بتجميع مواد الدهان وأدوات الرسم من مصروفنا الخاص لنتشارك في الثورة على طريقنا الخاصة".

أما الفنان التشكيلي السوري عزيز الأسمر فقدّم سابقا لوحات تتحدث بصريا عن ماضي الشعوب في الحروب والثورات على السواء، لاسيما الثورة السورية. ومع بداية ثورة لبنان، شرع

الفيسبوكية عملين فنيين مشغولين بالخط العربي. اللوحة الأولى حملت شعار "كلهم يعني كلهم" وهو الشعار/المنارة للثورة اللبنانية. رفع الفنان من هذا الشعار المكثف إلى مقام الأيقونة التي تجسد أهم ما يؤثّر ضده اللبناني والعراقي على السواء. أما اللوحة الثانية فجاءت تحت عنوان "مع شعب لبنان" لتؤكد على الشعور بالجرح الواحد وإن تظاهر بأشكال مختلفة.

بارد لهامات الفساد القابضة على أنفاس وأرزاق الشعوب المضطهدة. جنرالات فاسدة أقامت طويلا جدا وكزست إجرامها في يوميات شعبيين وقد نضح وقت الإطاحة بها.

وفي نفس السياق تأثر الفنانون السوريون بثورة لبنان ووجدوا فيها امتدادا لثورتهم. نذكر على سبيل المثال الفنان/الخطاط السوري منير الشمراني الذي نشر على صفحته



الثورة اللبنانية ألهمت الفنانين العرب

ميموزا العراوي  
ناقدة لبنانية



كتب الأدبي اللبناني أمين معلوف في روايته "الهويات القاتلة" الصادرة سنة 1998 "هوية الفرد ليست تضافر عدة ملكات شخصية معزولة عن بعضها البعض. إنها ليست فسيفساء. إنها نسج لمسامات جلد مشدود وواحد. ما إن يلمس المرء ملكة شخصية واحدة منها حتى يرتجف كل الجسد بأسره متأثرا".

المشهد التشكيلي المعاصر رافق الثورات في البلدان التي تمتلك حدودا جغرافية وديمقراطية وسياسي واضح

تصف هذه الكلمات البليغة المشهد التشكيلي المعاصر المرافق للثورات الخاصة في البلدان التي تمتلك حدودا جغرافية وديمقراطية اجتماعي وسياسي واضح. وفي هذه اللحظة اللبنانية/العراقية بامتياز، تهمن تلك الأعمال الفنية التي نشأت من قلب الحراك الثوري لتتوالد بمحاذاة جرف من الصراعات الداخلية والخيبات الهائلة